الصباح الإسلامية
AL-SABAH
No. 5077 | الجمعة | 10 رجب 1446 هـ | 10 يناير 2025 م | السنة السابعة عشرة
Alsabah Media www.alsabahpress.com

«اللهم استرنا فوق الأرض وارحمنا تحت الأرض ويوم العرض»

ذكر الله أكبر وأوسع وأشمل عبادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم -خير اسم تفضيل- وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل))

ذكر الله كلمة شاملة واسعة؛ إن قرأت القرآن فأنت ذاكر لله، وإن استغفرت الله فأنت ذاكر لله، وإن سبحته فأنت ذاكر له، وإن حمدته فأنت ذاكر له، وإن كبرته فأنت ذاكر له، وإن وحدته فأنت ذاكر له، وإن دعوته فأنت ذاكر له، وإن قرأت سنة نبيه فأنت ذاكر له، وإن تلوت على الناس سير الصحابة الكرام فأنت ذاكر له، فأي نشاط يقربك من الله عز وجل فهو ذكر له.

بطولة الإنسان أن يقيم علاقة طيبة مع الله تعالى

هناك أقوال لبعض العلماء حول الذكر، قالوا في قوله تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» [سورة البقرة الآية:152]، اذكروني على وجه الأرض أذكركم في بطن الأرض.

أي أنت في الدنيا، يمكن أن تأنس بالناس؛ بزوجتك، بأولادك، بأقربائك، بمن حولك، ولك مكانة اجتماعية، عندك طلاقة لسان، الناس حولك متحلقون؛ إن ذكرت الله وأنت على وجه الأرض، ذكرك الله وأنت في بطن الأرض؛ في بيت الوحشة، في بيت الدود، في بيت الظلمة، إن ذكرته وأنت على وجه الأرض ذكرك وأنت في بطن الأرض؛ وأنت في أمس الحاجة إلى الله، وأنت تحت الأرض.

لذلك في بعض الأدعية: «اللهم استرنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، ويوم العرض».

وبعضهم قال: «إذا وضع الميت في قبره، وانصرف عنه المشيّعون من أهله، وتركوه وحيداً في لَحده، يقول الله عز وجل: عبدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا أموت».

أحياناً الموظف يُنحّى مديره العام، هو قلق جداً، من الذي سيأتي بعده؟ لو جاءته معلومة: فلان سيعين مكانه، يسعى لإقامة علاقات طيبة مع هذا الذي سيأتي ضماناً للمستقبل، فنحن سنؤول إلى القبر جميعاً، ولا يوجد في القبر إلا الله عز وجل.

فالبطولة أن تقيم علاقة طيبة مع الله، الآن حتى إذا كنا تحت الأرض رحمنا الله عز وجل، وقال بعضهم: اذكروني عند المعصية أذكركم يوم القيامة عند رؤية النار.

لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله لأن عبد الله حر

المعاصي متاحة لكل إنسان، إذا كان الذي يمنعك عن المعصية خوف الله عز وجل فإن ذكرت قلت: معاذ الله! إني أخاف الله رب العالمين، يذكرك الله يوم القيامة عند رؤية النار.

لو إنسان رأى مثلاً امرأة فاشتهاها، فقال: معاذ الله! إني أخاف الله رب العالمين، ذكره الله يوم القيامة عند رؤية النار، كلما أغرته معصية فقال: معاذ الله! إني أخاف الله رب العالمين، ذكره الله يوم القيامة عند رؤية النار.

فالإنسان إذا كبرت سنه، وانحنى ظهره، وضعف بصره، وشاب شعره، يقول الله له: عبدي استح مني، فأنا أستحي منك.

إذا ذكرت الله ذكرك الله، إذا خفت من الله أمنك الله، إذا رجوت الله لباك الله عز وجل.

ورد في بعض الكتب: أن عبدي أنا لك فأنت لمن؟ وأنا معك فأنت مع من؟.

قد تجد أحياناً: ((إني والإنس والجن في نبأ عظيم؛ أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي)).

أي أنا لك فأنت لمن؟ وأنا معك فأنت مع من؟.

هناك معنى دقيق أحياناً يمكن أن تعبر عنه بلغة دارجة أنت لا يليق بك أن تكون لغير الله، وإذا كنت لغير الله فقد احتقرت نفسك، أنت المخلوق الأول، أنت لله؛ فإذا قدرت أن تكون لغير الله، أن تكون ملحقاً مع إنسان، من أتباع إنسان تعبده من دون الله، تعظمه من دون الله ، فأنت قد احتقرت نفسك؛ لأنه قد تعرض عن شيء احتقاراً له، أما إذا أعرضت عن الله فأنت احتقرت نفسك: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» [سورة البقرة الآية:130].

إن تعرض عن بيت لا يعجبك احتقاراً له، إن تعرض عن عمل لا يكفيك دخله احتقاراً له، إن تعرض عن فتاة لا تروق لك، لم تعجبك لتتزوج منها، هذه الحالات تحتقرها، أما إذا أعرضت عن الله، فأنت قد سفهت نفسك، احتقرتها؛ لأنك لله، أنت لله، فإذا كنت لعبد الله فأنت من الخاسرين.

لا يليق بك أن تكون لغير الله، تجده حراً؛ إذا كنت لله فأنت حر، إذا كنت لله فأنت عزيز، وإذا كنت لله فأنت مطمئن، إذا كنت لله فأنت واثق من المستقبل، إما إذا كنت لعبد الله، عبد الله لو فرضنا غاب عن الساحة، انتهيت أنت معه؛ إذا ربطت مصيرك بإنسان فأنت عبد لهذا الإنسان، أما إذا ربطت مصيرك بالواحد الديان، فأنت مع الله دائماً.

ذكر الله عز وجل من علامات الإيمان

لذلك المؤمن فوق الأحداث الطارئة، هناك إنسان يربط نفسه بحدث معين، بجماعة معينة؛ فهذا قيمته مرتبطة مع هذه الجماعة، أو مع هذا الشخص، أو مع هذا الحدث، ولا يليق بك أن تكون لغير الله، وحينما تكون لغير الله تحتقر نفسك، ولا تعرف قيمتها.

معظم الناس مشركون شركاً خفياً، أي هو يعبد جهة من دون الله، يؤلهها، يخلص لها؛ يمحضها حبه، يمحضها جهده، يمحضها حنجرته، هو لها.

عبدي أنا لك فأنت لمن؟ وأنا معك فأنت مع من؟.

وقيل: «اذكروني بنسيان غيري أذكركم، وأكشف الحجب عن وجهي، حتى تنظروا إلى نوري».

أي الله عز وجل هو المنحة التي لاتوصف، فإذا قبلت منحة إنسان، ونسيت الواحد الديان، فأنت مع الخاسرين.

كما قلت قبل قليل: إذا أكثرت من ذكر الله برئت من النفاق.

وسبحان الله! ذكر الله يجمع وذكر الدنيا يفرق.

الآن: بجلسة مثلاً تحدثوا عن الدنيا؛ هذا تاجر، هذا صانع، هذا عنده معمل، تجد أن الكآبة قد عمت، لأن إنساناً ليس له هذا النشاط أصبح خارج الاهتمام، أما إذا ذكرت الله، يجتمع الكل حولك، فإن ذكرت الدنيا تفرقوا عنك.

((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً))

عود نفسك أينما جلست أن تذكر الله، تجد أن المجلس قد ارتقى، عمت الفرحة، تألقت الوجوه، وعود نفسك كلما سمعت شيئاً مهماً، حاول أن تحفظه؛ لأن الإنسان في النهاية ذاكرة.

الذي يريد أن يتكلم؛ سمع تفسير آية، تفسير حديث، قصة أعجبته حفظها، أو كتبها، أو كتب ملخصها، أينما جلس، لو ذكر تفسير آية ارتقى المجلس.

الآن هناك آلاف اللقاءات، ملايين اللقاءات، كلها عن الدنيا، كلام فارغ؛ وغيبة، ونميمة، وتباه، وتفاخر، تجد الجلسة فيها مقت، ليس فيها سرور، يخرجون محطمين؛ هذا افتخر على هذا، وهذا استعلى على هذا، وهذا أظهر ما عنده من متاع الدنيا، فكسر قلوب الآخرين، يخرجون محطمين، أما إذا ذكروا الله فيخرجون جميعاً مجبورين.

على كل؛ ذكر الله أكبر ما في الصلاة، وذكر الله أكبر عبادة، وأوسع عبادة، وأشمل عبادة، لأنه يدور معك حيثما درت، أينما تحركت؛ إذا أويت إلى فراشك هناك دعاء خاص قبل أن تنام، إذا استيقظت من فراشك هناك دعاء خاص، إن خرجت من البيت هناك دعاء خاص، إن دخلت هناك دعاء خاص، إن ارتديت ثياباً جديدة هناك دعاء خاص، إن جلست إلى الطعام هناك دعاء خاص، إن قمت عن الطعام هناك دعاء خاص، إن دخلت إلى بيت الخلاء هناك دعاء خاص، إن خرجت منه هناك دعاء خاص، الدعاء اتصال مستمر، هذا هو ذكر الله.

إنسان أقدم على شيء، على عمل يقول: يا رب أعني. يا رب إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك، يا ذا القوة المتين.